قراءة نفسية فى ملف العولمة

منشور في ندوة العولمة وأولويات التربية
جستن(الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية)
١-٢/٣/١٤٢٥هـ
الموافق
٢١-٢٢/٤/٢٠٠٤م

قراءة نفسية فى ملف العولمة

صلاح الدين عبد القادر محمد(*)

The Psychological Reading in Globalization file

By

Salahedlien, A.K. Ahmed.

The Psychology Dep., College of Ed.

King Sauid University

Abstract:

This paper aim to produce the psychological diagnosis for globalization depend on the theory and concepts of psychology, and discover the globalization techniques and strategy are effect on the culture identity.

So, some results of this paper are:

- The globalization is Americanism "the world on light of American style of life".
- The American thought are consist of the two major rocks, 1est is pragmatism and the 2ed is behaviorism.
- Change the local attitude to global attitude.
- Change the human imagination by the virtual community, cyber culture, and cyber space.

---

*) أستاذ مشارك، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة الملك سعود.

- The globalization are useful from some psychological concepts such as, operant conditioning & shaping (by: Skinner, B.F), modeling (By: Bandura, A.), the effect law (By: Thorndike), and the expository organizers (By: Ausbel).
- Finley, there are negative effect on culture identity by American globalization.

Key words: globalization, culture identity, American thought, psychological reading.

تهدف هذه الورقة إلى تقديم قراءة نفسية فى ملف العولمة كمحاولة لتشخيص وتفسير انتشار أنموذج العولمة تفسيراً يستند إلى مفاهيم ونظريات علم النفس وكذلك الكشف عن الاستراتيجيات التى تستخدمها العولمة فى التأثير على الهوية الثقافية.

فى معنى العولمة: لقد أصبح هناك شبه اتفاق على أن مصطلح Globalization (E), Mondialsation (F) يعنى العولمة، وسوف تتناول الورقة المصطلح وفق التفسيرات التالية:

- العولمة هى حقبة تاريخية، يوقت لها منذ بداية عصر الوفاق والحرب الباردة فى الستينات وينتهى بالعام (١٩٨٩) الذى شهد سقوط حائط برلين وانهيار الدولة الماركسية (٦: ٢٣)(**) وتراها (ناهد طلاس، ١٩٩٩) أنها تطور اقتصادى وتاريخى (٢٧).
- العولمة هى تطور اقتصادى، حيث تعتبر ذروة هرم التطور للرأسمالية(***)، حيث يرى (فوكوياما، ١٩٩٣) حتمية الرأسمالية (٢٥: ١١٥) وكذلك سيطرة رجال الاقتصاد على الميديا والاتصال والمعلوماتية وتكنولوجيا الجينات (١٦: ٨) بينما يشير (اسماعيل صبرى عبد الله، ١٩٩٧) إلى أنها تعنى الرأسمالية فى مرحلة ما بعد الإمبريالية (٥: ١٢٨) أو هى بلغة (ناهد طلاس، ١٩٩٩) تطور اقتصادى وتاريخى (٢٧)، ونشير كذلك فى نفس السياق إلى تطور المراحل الخمسة للرأسمالية كما طرحها روبرتسون R. Robertsone.
- العولمة هى تطور تكنولوجى، يطرح (بريجنسكى، ماك لوهان) أن العولمة تعنى قرية كونية واحدة، نتيجة نقل التقنيات من المجتمعات المتقدمة (٢٧: ٩٢) أو ما يسمى بالعصر التكنيترونى (Technetronic Era)

**) يشير الرقم الأول إلى المرجع، ويشير الرقم الثانى إلى الصفحة.

***) مؤسسات العولمة: صندوق النقد الدولى + البنك الدولى + منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية + منظمة التجارة العالمية (جات) + حلف شمال الأطلس (ناتو)، ويسميها (سعيد اللاوندى، ٢٠٠١) الحكومة الخفية التى تقود العالم نحو العولمة (١٦ ، ١٩).

(١١: ١٣١) ومن ثم فإن العولمة لا تعدو إلا أن تكون نتاج حركة من التقدم التكنولوجى وثورة الاتصالات (٣١). ويضيف (السيديس، ٢٠٠١) أن العولمة هى ثورة تكنولوجية واجتماعية أو ما بعد المجتمع الصناعى (٧: ٤٢).

- العولمة هى الهيمنة الأمريكية، العولمة هى الأمركة تلك هى المقولة المفضلة للصحفى الأمريكى توماس فريد مان (١٦: ٩) ويقول فوكوياما، سوف لا يبقى فى نهاية التاريخ أى منافس حقيقى للديمقراطية الليبرالية (٢٠: ٢٠٥) ويتساءل لماذا لا تكون كل البلدان ديمقراطيات تنتمى إلى هذا الأنموذج (٢٠: ٢٠٦) يقصد الأنموذج الأمريكى ويرى (صمويل هينتجتون، ١٩٩٣). إن عالماً بدون سيادة الولايات المتحدة الأمريكية سيكون عالماً أكثر عنفاً ، وقومى ، وأقل ديمقراطية، وأدنى فى النمو الاقتصادى (٣٠: ٤٨) ويضيف (ناعوم تشومسكى، ٢٠٠٠) أن أمريكا تقوم بفرض الهيمنة على العالم كتفكير استراتيجى، ينبع من فكر صانعى القرار على مختلف العصور (٢٦: ١٠٠)، ويشير (السيد يس، ٢٠٠١) أن العولمة تعنى فى حقيقتها هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم وانتصار الليبرالية الديمقراطية التى تمثلها الولايات المتحدة الأمريكية على كل النظم الأخرى، وفرص تبنى الأنموذج الأمريكى (٧: ٤١)، ويرى (حسن الزبيدى، ٢٠٠٢) أن العولمة تحول نحو الأمركة (١١: ١٣٥) ويضيف أن مزيد من العولمة هو مزيد من التبعية (١١: ٣٠٨).
- العولمة تنزع إلى صياغة ثقافة كونية لها معاييرها المتشابهة وقيمها التى تنزع إلى توحيد الأذواق وتقنين القيم الجمالية، ولكن بفرض خدمة أهداف السوق الاستهلاكية (٧: ٤٢) ومن ثم خلق ثقافة عالمية عن طريق توحيد الآراء فى المسائل العالمية، وفرض أذواق واحدة، وتغيير العادات المحلية (٦: ٣١٣) ويرى (عابد الجابرى، ١٩٩٨) أن العولمة تعنى العمل على تعميم نمط حضارى يخص بلداً معيناً على بلدان العالم أجمع (٢٥: ١٦)

وكذلك يشير (عبد الإله بلقزير، ١٩٩٨) إلى أن العولمة تهدف إلى نشر ثقافة العولمة (١٩: ١٥٨) ويتفق حسن الزبيدى مع أراء (بلقزير، الجابرى) فى أن العولمة تهدف إلى الانتقال من حقبة الثقافات الوطنية والقومية إلى الثقافة الكونية (١١: ١٥٨) وتضيف (ناهد طلاس، ١٩٩٩) ثقافة كونية واحدة من أجل سيطرة اقتصادية شاملة (٢٧: ١٤٩).

إشكالية الأمركة (العولمة) والثقافة:

تطرح الورقة بوضوح الأمركة كبديل للعولمة ما دامت كل الأدبيات تذهب إلى هذا المعنى فلماذا الميكانيزمات الدفاعية الفاشلة (الإزاحة، التبرير، الإسقاط)، نعم العولمة تعنى فرض الأنموذج الأمريكى على العالم (٥)، (٦)، (٧)، (١١)، (١٢)، (١٦)، (١٩)، (٢٠)، (٢٤)، (٢٥) وإلا لما ظهرت هناك حركات معادية(*) للأمركة فى صورة معارضة للعولمة، ومن ثم فهناك على الطرف الأخر محاولات منظمة من قبل مؤسسات العولمة لفرض ما يسمى "بالثقافة الكونية" أو "ثقافة العولمة" وبالتالى فالسؤال المنطقى الذى يطرح نفسه ما ثقافة العولمة؟ يطرح (فوكوياما، ١٩٩٣) وبوضوح أن ثقافة العولمة أو ما يسميها بالثقافة الديمقراطية أو الثقافة المدنية، تعنى أن تتخلى الشعوب عن قيمها التقليدية وأن تتبنى قيم الثقافة الديمقراطية الجديدة مثل (المشاركة، العقلانية، العلمانية، المرونة، الشفافية، التسامح) (٢٠: ٢٠٦) ولكن من منظور وفهم أمريكى بالطبع ويعرفها (عبد الإله بلقزير، ١٩٩٨) بأنها هى ثقافة ما بعد المكتوب وهى ثقافة المادة الأساسية لها الصورة التى يجرى تسويقها على نطاق واسع، بحيث تستطيع تحطيم الحاجز اللغوى (١٩: ٩٨). بينما يراها (السيد يس، ٢٠٠٠) بأنها الدعوى لبناء ثقافة كونية تتضمن نسقاً متكاملاً من القيم والمعايير لفرضها على كافة الشعوب، مما قد يؤثر على الخصوصية الثقافية (٦: ٥٧).

---

*) مظاهرات (باريس، ١٩٩٥)، (ألمانيا، ١٩٩٦)، (فرنسا وأسبانيا، ١٩٩٧)، (دافوس، ١٩٩٧)، (جينيف، ١٩٩٨، ١٩٩٩، ٢٠٠٠)، (سياتل، ١٩٩٩)، (مير، ١٩٩٩)، (جنوة، ٢٠٠١) والأخير (ضد اجتماعات رؤساء أمريكا الشمالية والجنوبية، ٢٠٠٤).

خصائص ثقافة العولمة: تتميز ثقافة العولمة بما يلى:

- أنها ذات خطاب تقنى وعلمى مرتفع (ثقافة مصنوعة بحسابات دقيقة) (٢: ١٤).
- موجهة (تميل للهيمنة) (٢: ١٥) أو (الاختراق) (٢٥: ١٧).
- نخبوية (تفرض من أعلى) ووسائلها Cyber Culture وCyber space وvirtual community (٢: ١٦).
- تسعى إلى تشكيل ذهنيات الأفراد بمواصفات لصالحها من خلال التمثيلات المتخيلة (صور المحاكاة) simulations والصور الذهنية المنمطة (٢).
- تسعى إلى إقصاء الخصوصية الثقافية (٦)، (٧)، (٣٠: ١٥٧).
- تعتمد على الصور المتلفزة كى تستطيع تخطى حاجز اللغة (١٩: ٩٨) وفى هذا السياق يتجلى دور الميديا وصناعة الإعلانات فى نشر ثقافة العولمة (٦)، (١٤: ٢٥٤).
- عولمة الخيال بمعنى لم يعد ينطلق خيال الفرد من خصوصيته الثقافية ، بل أصبح ينطلق من فضاءات العولمة (٦: ٩٥).
- تحاول إعادة تشكيل الذاكرة الإنسانية لصالحها.
- تشكل الهوية الثقافية فى إطار الثقافة الأمريكية بحيث تتخلى الشعوب عن شخصيتها القومية لصالح الشخصية العالمية.

وتستنبط الورقة من أعمال ماك لوهان، بريجنسكى، صمويل هينتجتون، وفرانسيس فوكوياما، أن ثقافة العولمة تنبع من جذر معرفى واحد هو الجذر الأمريكى، ولذلك فسوف تحاول الورقة إلقاء بعض الضوء على طبيعة هذا الفكر.

محاولة لتشريح الفكر الأمريكى:

إن العقل الأمريكى برجماتى وذو نزعة اختزالية (٧: ٣٢٧) والشق الفلسفى للتفكير الأمريكى يستند إلى الفلسفة البرجماتية(*) (٦: ٢٣٢). ولذلك فإن كل الشواهد

---

*) البرجماتية (Pragmatism) فلسفة نشأت فى أمريكا بوجه خاص، وأطلق عليها هذا الاسم تشارلز بيرس (Charles C. Pierce) فى عام ١٨٨٧، ثم دعمها وليم جيمس، وذاع صيتها بالتطبيقات التربوية التى قام بها جون ديوى (٣: ٢٥١). وهى فلسفة طبيعية، بمعنى أنها لم يكن

تشير إلى أن الذى يوجه السياسة الأمريكية هو طابعها البرجماتى النفعى (٧: ١٢١) إن ما يهم البرجماتية هو صحة الأفكار وصدق المعتقدات وبمدى ما نلمسه من نتائج، بمعنى أنه لا يهم مصدر الفكرة بل نتيجتها (٣: ٢٥١) ولا تبحث البرجماتية عن بداية المعتقد بل نهايته (٣: ٢٥٢) ويرى وليم جيمس W. James أن الصدق والمنفعة صفتان متلازمتان (٣: ٢٥٢) ويرى جون ديوى John Dewey أنه ينبغى أن نبحث عن (شروط) المعرفة لا عن (مصادرها)، نبحث عن الأدوات أو الذرائع (٣: ٢٥٤) فقط.

تأسيس الوظيفية الأمريكية: وانبثق من هذا الشق الفلسفى البرجماتى الشق السيكولوجى، والذى يستند إلى الوظيفية، فالوظيفية خاصية مميزة للتفكير السيكولوجى الأمريكى(**) (٣١: ١٠٩)، ومن هنا ترى أن التفكير الأمريكى دائماً ميكانيكى، ذراتى حتى فى وظيفتيه، وكذلك تحكمه ميكافيلية نابعة من الجذور الفلسفية التى شكلت براجماتيته.

أثر العولمة على الهوية الثقافية:

تكتسب الهوية الثقافية أهميتها من أنها تمثل حجر الزاوية فى تكوين الأمم، لأنها نتيجة تراكم طويل، يعززه التراث والثقافة واللغة (١: ١٥٨) بل وهناك من يعتبر حتى الهوية الزراعية ترجمة للهوية الثقافية (١٦: ١٣٠) ويعتبر كثيرين أن

نسقاً ميتا فيزيقياً، بل مجموعة من الاتجاهات التى تركز على خبرة الإنسان العادية، أما النزعة الذرائعية عند جون ديوى فلقد كانت شكلاً تالياً من البرجماتية يمكن اعتباره برجماتية ذات خط سوسيولوجى (٣١: ١٢١). وترى الورقة غياب النسق الميتافيزيقى عن البرجماتية، غياب موضوعى، حيث أن الذين شكلوا النشأة الأولى لأمريكا كانوا من المغامرين أو الفارين ومن ثم أنى لهؤلاء أن يكون لهم جذور فلسفية أو ميتافيزيقية.

**) إن جيمس هو أول وظيفى أمريكى ساهم بمجهوداته فى تحويل الوظيفة إلى السلوكية (٣١: ١١٠) ثم تجلت جهود واطسن Wastson لتحويل السلوكية إلى مدرسة سيكولوجية (٣١: ١٨١) والوظيفية السلوكية كانت تعنى الكل الميكانيكى، فالظاهرة النفسية كانت تعتبر كل ميكانيكى تتابع فيه الأجزاء (المنعكسات) فى آلية تجهل كل هدف أو قصد أو دلالة ومن ثم فالظاهرة النفسية هنا تعتبر بمثابة تجميع لعدد من الاجزاء لم يكن الكل أكثر من حاصل جمع لهذه الأجزاء، لم تكن فى واقع الأمر تزيد على كسر لا علاقة فيما بينها (١٧: ٤٧) أى ذراتية.

الهوية الثقافية هى الهوية الوطنية (القومية) (٢٨)، (٣٠) ويتأسس على هذا، أن الورقة تطرح الهوية الثقافية كدالة للهوية الوطنية.

تتبنى الورقة التعريف التالى للهوية الثقافية "هى معطى غير مكتمل الصورة، يؤثر فى تشكيل ذهنية الفرد (Mentality)، وينتج عن عملية التوحد مع خصائص المجتمع ومنظوماته (*)، وتتبدى فى سلوك الفرد، واختياراته، وأهدافه(**). هذا ويتضح تأثير العولمة على الهوية الثقافية من خلال ما يلى:

- "وشهد شاهد من أهلها" يرى (ماك لوهان، بريجنسكى) (١٥) وكذلك صمويل هينتجتون (١٨) وفرنسيس فوكاياما (٢٠)، ضرورة فرض الأنموذج الأمريكى على كل المجتمعات، مما يوضح أنها عملية هيمنة واستلاب ثقافى وحضارى لكل الشعوب.
- هناك موقف أوربى مضاد للأمركة والغزو الثقافى، ويتمثل فى مواقف جاك توين (١٦: ١٣٩)، جاك لانج (١٦: ١٣٠)، بيان المثقفين الألمان(***) (٢٦: ٢٥٧-٢٦١)، جيرهارد شرودر (١٦: ١٣١).
- موقف بنى جلدتنا: تتفق النخبة العربية على أن العولمة تمثل غزو واختراق للهوية الثقافية، بل واستلاب لكل خصوصية عربية (خلدون النقيب، ١٩٩١)، (الجابرى، ١٩٩٨)، (عبدالإله بلقزيز، ١٩٩٨)، (ناهد طلاس، ١٩٩٩)، (السيد يس، ٢٠٠٠، ٢٠٠١)، (سعيد محارب اللاونده، ٢٠٠٠)، (حسن كاظم، ٢٠٠٠)، (محسن خضيرى، ٢٠٠١).

---

*) (اللغة، الدين، الأيديولوجية، الثقافة، التراث، القيم، العادات، والتقاليد، وأى منظومة مجتمعية أخرى).

**) استفادة الباحث فى صياغة هذا التعريف من المراجع التالية (١)، (٢٣)، (٢٨)، (٣٠).

***) نشر فى صحيفة فرانكفورت ألجن اليومية فى ٢ مايو ٢٠٠٢، ونشرت ترجمة بصحيفة الوطن فى العدد (٦٢٩) فى ٢٠٠٢/٦/٢٠ والعدد (٦٣٠) فى ٢٠٠٢/٦/٢١ وذلك رداً على بيان الستين الأمريكى المشهور.

هذا وترى الورقة أن العولمة تملك التأثير على السلوك الثقافى ولكنها لا تملك التأثير على الهوية الثقافية ، حيث أن الهوية الثقافية بناء (نفس – اجتماعى) تحدده شروط موضوعية خاصة بكل مجتمع.

أدوات العولمة واستراتيجياتها لتحقيق الاختراق (الغزو) الثقافى:

لاشك أن الولايات المتحدة الأمريكية تخطط استراتيجياً، كى تكون هى الحاكم الأوحد للقرية الكونية وذلك من خلال:

- قاعدة تكنولوجية رهيبة.
- قاعدة اقتصادية متنامية وسيطرة شبه تامة على كل مؤسسات العولمة.
- قاعدة سياسية عن طريقة إضعاف دور الأمم المتحدة، وفرض الهيمنة السياسية وكذلك اللجوء للقوة (حالة أفغانستان، حالة العراق أنموذجاً).
- قاعدة عسكرية رهيبة.
- قاعدة ثقافية ضخمة، وذلك عن طريق سيطرة شبه تامة على الميديا، وإنتاج أكبر كم من الأفكار والابتكارات، وجذب العقول المبتكرة، وتجنيد عقول مبتكرة فى كل مكان لصالح كل ما هو أمريكى (١٦: ١٢٧).

وسوف تتناول الورقة أحد السيناريوهات المطروحة حالياً كتمثيل لحالة الاحتياج الثقافى.

وتتشكل من ثلاث مراحل مستفيدة من ذلك من نظرية ثقافة المركز وثقافة الأطراف (المحليات) التى طرحها أولف هانز (Olf Hannerz, 1996) حيث تمثل الولايات المتحدة الأمريكية ثقافة المركز وتمثل باقى دول العالم ثقافة الأطراف.

مرحلة التجانس: وهى مرحلة تحقيق التجانس العالمى للثقافة، وينتج ذلك عن طريق تدفق الثقافة كسلعة من المركز نحو الأطراف (٥: ١٦٢) وذلك وفق آلية تعمل على استلاب الثقافات المتعددة لصالح الثقافة العالمية الواحدة، ومن ثم يتم النظر إلى الموروث الثقافى للأطراف على أنه مجرد نبراس مضىء، ولكن لا يفرض هويته على المركز بل يستجيب لثقافة المركز تدريجياً (٥)، (٢٢).

مرحلة التشيع: طالما أن التأثيرات الثقافية عابرة القوميات تعمل فى بيئة[*] مفتوحة باستمرار، وتضرب بعنف على خصوصية شعوب الأطراف، فإن ثقافة الأطراف سوف تستوعب خطوة بخطوة المزيد من المعانى والرموز والأشكال المستوردة، ومن ثم يصعب تدريجياً تمييز ثقافة الأطراف عن ثقافة المركز.

مرحلة الاعتماد: حيث تتبنى الأطراف مثل وقيم ومعايير ثقافة المركز، ثم تقوم هى وبحكم الفارق الثقافى والحضارى بتشويه وإفساد تلك المعارف والقيم والمثل (٥: ١٧٧) ومن ثم تصبح ثقافة الأطراف وقد أصبحت فى مرحلة استلاب حضارى أشبه بحالة "معتمد" فى حاجة إلى "عقار" ثقافة المركز، وبالتالى يتم منحه صك العبور إلى العالمية[**] من خلال ثقافة المركز.

ونلاحظ أن النظرة الأمريكية للتغيير الثقافى فى المجتمعات، تستند إلى شواهد تاريخية أنثروبولوجية ، ويتضح ذلك من خلال انتشار مفهوم الثقافة استناداً إلى مفهوم الانثروبولوجى الأمريكى "بواس" Franz Boas مؤسس الوظيفية فى الانثروبولوجية الأمريكية، والذى يستند إلى أن الثقافة تعنى كل مظاهر العادات، وكذلك منتجات النشاط الإنسانى (٧) وتذهب كذلك النظرة الأمريكية للثقافة، فى أنها ترى أن وجود الفرد مستقل عن المجتمع ويتبين ذلك من خلال أعمال كلارك ويسلر C. Wissler، الفريد كروبر A. Krooeber، بواس، ومارجريت ميد M. Mead والذين تناولوا أيضاً الدور النفسى للثقافة (٧: ١٩٢).

وترى الورقة، وأنه تبعاً لهذه النظرة التى تحكم الفكر الأمريكى، فإنها تسعى دائماً إلى تقديم ثقافتها مباشرة إلى شعوب المجتمعات الأخرى، غير عابئة بالتراث الثقافى لهذه المجتمعات، معتمدة على نظريتها فى تناول وجود الإنسان مستقلاً عن مجتمعه، ثم إن هذه الثقافة التى يدعى أنها ثقافة عولمية بمعنى أنها كوكبية وللجميع، هى فى الأصل ثقافة أمريكية محلية وليست نتاج تفاعل ثقافى بين كل المحاور

(*) Virtual Community , Cyper Culture , Cyper Space.

(**) إعادة توزيع الأغانى المصرية النوبية توزيعاً عالمياً، وفرض الأرتام الكوبية على الموسيقى العربية، إضافة رموز أمريكية على الملابس العربية، تسويق الأكلات والمشروبات الأمريكية.

والأطراف تمخض عن خصائص ثقافة كلية (كوكبية) ممكن فرضها على الجميع على أساس أن لكل من هذه المحاور والأطراف "فسيل" فى هذه الثقافة العولمية.

وكذلك فإن انتشار الثقافة الأمريكية منها إلى كل أصقاع العالم، له بعد تاريخى فى الفكر الانثروبولوجى الأمريكى، حيث أن المدرسة الانثروبولوجية الأمريكية متمثلة فى أراء (ويسلر، كروبر) ترى أن الملامح المميزة لثقافة ما قد وجدت أولاً وقبل كل شئ فى مركز ثقافى جغرافى محدد ثم انتقلت إلى مناطق أخرى (٧: ١٨٧) ونلمح أنها نفس نظرية المركز والمحليات (الأطراف) التى طرحها هانرز.

ونلاحظ أن وجهة نظر الثقافة الأمريكية دائماً تركز على قضية الشكل، وذلك نتيجة تأثرها بالبراجماتية، وأيضاً تهتم الثقافة الأمريكية بالطريقة الاجتماعية فى الحياة (كروبر، ١٩٢٧) (٧) ولذلك فقد سعت العولمة إلى تقديم نمط الحياة الأمريكية المحلية فى كل شئ على كونها نمط الحياة Style of life[*] الذى يجب أن تتبناه كل الثقافات.

كيف نقرأ ملف العولمة فى ضوء مفاهيم علم النفس؟

إن حداثة الأمة الأمريكية تشكل العقدة المحورية فى التفكير السيكولوجى الأمريكى [**].

حيث تستند عملية الترويج لفكر العولمة على محاور هى أن عملية الترويج تمثل (موقف تعليمى + تكوين اتجاهات + تقليد لأنموذج) وهذه تمثل خبرة واستفادة عملية من نظريات ومفاهيم علم النفس.

فالعولمة تنطلق فى الترويج لفكرها من فكرة "ضبط الموقف التعليمى"، والتى تتضمن بعدين هما:

---

*) من حلم الثراء السريع (أتصل على ٠٩٠٠) إلى مشروب الكولا ووجبة ماك.

**) فعلى الرغم من حصول العالم الروسى بافلوف Ivan Pavlov (١٨٤٩-١٩٣٦) على جائزة نوبل فإن ذلك لم يشفع له كى يكون بداية السلوكية الأمريكية، ولكنها بدأت من أعمال وليم جيمس وتدشنت فى أعمال واطسن John B. Watson.

البعد الأول: الضبط الخارجى: وهو يعنى تحديد بعض الشروط الخارجية التى قد تسهل أو تعوق عملية التعلم مثل (العوامل البيئية، المعلوماتية، ترتيب الشروط الاجتماعية، والدعاية والإعلان "الميديا").

البعد الثانى: الضبط الداخلى: ويعنى اكتساب العادات ويمثلها (أساليب توجيه السلوك مستقبلاً + عملية صياغة وتوجيه الاتجاهات) ويركز هذا البعد على الفرد ذاته (٤: ٢٣-٢٤).

وكذلك فقد استفادت العولمة من القوانين الرئيسية للتعلم عند واطسن وثورنديك L. Thorndike مثل:

قانون الحداثة (*):

وتبعاً لهذا القانون نجحت العولمة فى أن تكون قيمها هى آخر قيم يحقق الفرد الوصول إليها وبالتالى فقد أصبحت هدفه وغايته وبالتالى فهى تحقق إشباعاته ومن ثم فلماذا يرفضها؟ وبالتالى يقع تحت ضغط الحاجة إلى تكرارها.

قانون التدريب:

لم يرفض ثورنديك تفسير "واطسن" بالنسبة لقانونى التكرار والحداثة، ولكنه فسر العلاقة الارتباطية بين المثير والاستجابة فى ضوء قانون التكرار (٤: ٥٤) والذى يتكون من جزءان "قانون الاستعمال، قانون الإهمال" (ويتضح هنا تأثير المفاهيم البيولوجية عند داروين، ولامارك)، فالعولمة تركز على قانون التدريب، فهى دائماً تدعم التكرار الفورى الذى من شأنه أن يقوى من احتمال صدور الاستجابة المستهدفة (نمط الحياة الأمريكية وقيمتها) وفى نفس الوقت فهى تخلق مساحة زمنية طويلة نسبياً بين هذه المجتمعات وبين قيمها الأصلية، ذلك لأن

---

*) يفسر هذا القانون لماذا يعتبر الحدث أو الفعل الأخير الذى يتم فى الموقف التعليمى هو الفعل أو الحدث الذى يميل إلى الحدوث مرة أخرى فى نفس الموقف، أى أن الكائن الحى يميل إلى الحدوث مرة أخرى فى نفس الموقف، أى أن الكائن الحى يميل إلى تكرار هذا الحدث بالذات، لأنه هو الذى حقق الوصول إلى الهدف أو أدى إلى إشباع الحاجة، وبالتالى يكون أكثر تكراراً فى الموقف (٤: ٥٤).

التكرار غير الفورى الذى تتخلله فترات زمنية طويلة نسبياً، من شأنه أن يضعف من احتمال ظهور تلك القيم، وربما قد يؤدى إلى اختفائها تماماً، ومن ذلك حملة الهجوم على القيم العربية والإسلامية ونسبتها إلى أنها سلفية ولا تتناسب مع ثقافة العولمة (ونلاحظ مدى تطابق هذا القانون مع نظرية ثقافة المركز والأطراف التى قدمها هانرز).

قانون الأثر(*):

تستند العولمة فى الترويج لكثير من مفاهيم إلى هذا القانون الذى يخلف الأثر السار (الحلم الأمريكى فى الأفلام، الفوز باليانصيب، جوائز التليفزيون، اتصل بالرقم كذا لتربح جائزة فورية)، هذا بالإضافة إلى الاستفادة من اسهام ثورنديك اللاحق لتفسير الأثر الكدر، حيث يذكر "أن حالة عدم الارتياح الناشئة عن العقاب ليس من الضرورى أن تضعف من الارتباطات بشكل مباشر ولكن لا يقويها" (٤: ٥٦) وتستفيد من ذلك العولمة بتركيزها على أن الفوز قادم فى المرات القادمة ويجب تكرار المحاولة ولا مجال للكف عن المحاولة.

التشريط الإجرائى Operant Conditioning:

يظهر تأثير سكنر (Skinner B. F.)، بطرحه للسلوك الإجرائى، هذا السلوك الذى لا يرتبط بمثيرات محددة سلفاً (٤: ٦١) ومن هذا اهتمام سكنر بالاستجابات ذاتها التى تصدر عن الفرد، وليس على المثيرات الموجودة فى الموقف السلوكى (٤: ٦١) أى تقديم الحل والاهتمام بالتعزيز التالى على إصدار السلوك، وهذا يفسر مسلك العولمة بتركيزها على تسويق اتجاهاتها وقيمها والعمل على إنجاح تلك الاتجاهات والقيم بغض النظر عن طبيعة تلك المجتمعات وظروفها الموضوعية (مفهوم برجماتى)، لأن الأصل هو أن تتبنى تلك المجتمعات ما يقدم إليها ومن ثم يتحول إلى جزء من ترسانتها السلوكية، ومن ثم يتحول إلى

---

*) عند تساوى جميع الظروف فإن الاستجابات التى تلغى أثر سار تميل للتكرار، والاستجابات التى تلغى أثر كدر لا تميل للتكرار "الباحث".

السلوك المنوط به أن يصدر، ذلك لأن التشريط الإجرائى يركز على "تعلم الحل"، وهو مسلك الخطاب الأمريكى عادة. "فلنركز على الحل"، ولذلك فالتدعيمات والمعززات التى تقدمها العولمة تنطلق من نظرية سكنر وجداولها التعزيزية Schedule, of Reinforcement.

التعميم:

استفادت العولمة بشكل منقطع النظير من مبدأ التعميم الذى تتنادى به السلوكية ذلك المبدأ الذى يغفل وعن عمد فى خطاب العولمة الفروق الفردية بين الشعوب والجماعات الإنسانية ويحاول أن يفرض أنموذج العولمة "الأمريكى" على كل الدنيا.

نظرية التعلم ذو المعنى:

استفاد خطاب العولمة من أوزبل Ausubel صاحب نظرية التعلم ذو المعنى، لذا فإن خطاب العولمة يعتمد وبصورة أساسية على المنظمات المتقدمة Expository Organizers(*) وتسمى أيضاً منظمات العرض (٤: ١٤٣)، حيث تصر الدوائر الأمريكية على انتشار كل وسائل الاتصال أو الفضائيات وتيسير الإنترنت وذلك كى تعمل كل هذه الوسائل عمل المنظمات المتقدمة، بل ولا تكتفى العولمة بالمنظمات المتقدمة المكتوبة فقط، بل وتقدم المنظمات السمعية والبصرية والبيانية.

وترى الورقة، أن تركيز خطاب العولمة على تلك المنظمات، إنما ينبع أساساً من الاستفادة من هذه المنظمات فى التأثير بشكل خاص على الأطفال، والأفراد العاديين محدودى الثقافة، ويعتمد هذا الخطاب على تكرار

---

*) تستخدم هذه المنظمات حينما تكون المادة التعليمية الجديدة المراد تقديمها للمتعلم غير مألوفة، وليس له سابق خبرة بها، وتؤدى هذه المنظمات دوراً هاماً فى إعطاء المتعلم بعض الأفكار أو المعلومات عن المادة الجديدة المراد تعلمها مما يسهل ارتباطها بما لديه من معلومات فى بنائه المعرفى (٤: ١٤٣).

المثيرات بحيث تشكل سيلاً من المعلومات البصرية، والسمعية، والبيانية، حتى لا تعطى الفرد مساحة للمقارنة أو الاكتشاف، وبهذا يتحقق نوع من التعلم الاستقبالى (الأصم) Rote، يسمح بالاكتشاف لصالح ما تقدمه العولمة، وليس اكتشاف الأفضل، وهنا يتجلى أهمية الدور الذى تقوم به الباقات الفضائية (CNN, Show time, Vox, Sky).

نظرية التعلم الاجتماعى(*) (باندورا Bandura, A.):

تسعى العولمة إلى فرض أنموذج الذى تتوفر فيه كل شروط(**) تقليد الأنموذج، بحيث يكون الانموذج الوحيد المتاح للتقليد، وبالتالى يتم إزاحة كل النماذج الأخرى والخاصة بالثقافات المحلية وتقليد أنموذج واحد فقط، هو أنموذج العولمة وتتم محاكاة هذا الأنموذج فى كل سلوكياته الأساسية والفرعية حتى التى تصدر عنه بدون قصد.

---

*) اهتم "باندورا" ببحث وتفسير الاستجابات الجديدة لدى الفرد عن طريق ملاحظة أخر يسمى أنموذج Model، أما عملية اكتساب الاستجابات من خلال هذه الملاحظة فتسمى "التشكيل بالأنموذج" Modeling، ويعلل "باندورا" حدوث الاستجابات الجديدة إلى التعلم بالملاحظة، وقدرة الفرد التى تتوسط ما بين الاكتساب (ملاحظة أنموذج الاستجابة) والأداء ، وأخيراً الجانب الانتقائى ويرى "باندورا" أن العمليات المعرفية تلعب الدور المركزى فى التعليم، ولذا فهو يرى أن حدوث السلوك الجديد لا يحتاج إلى تعزيز أو تدريب (١٧: ١٨).

**) الجاذبية + الصدق + أن يكون اجتماعياً + يحظى بالاحترام + محبوب + مرغوب (١٧: ٢٦) + يداعب الحلم الداخلى لكل مقلد + يركز على الإشباعات المادية.

لماذا نقلد السلوك المعولم! ونتجه إليه؟

إن العولمة نجحت فى أن تخلق داخل المجتمعات حالة أقرب ما تكون بحالة التعلم الغرضى Purposive Learning على النحو التالى:

١. نتيجة الزخم الإعلانى للعولمة يشعر الفرد بأنه فى حاجة إلى إشباع دافع أو رغبة معينة (الحلم الأمريكى – قيم واتجاهات العولمة).
٢. ونظراً لحاجة الاحتياج، يبدأ الفرد فى التفكير فى كيفية الوصول إلى هذا الهدف (مع إغفال للشروط التى يجب أن تتوفر لديه لتحقيق هذا الهدف) وهذا هو الدور المهم الذى تقوم به وسائل الاتصال والتلفزة العولمية والتى تصور الوصول إلى الرغبات والإشباعات عملية سهلة وميسرة ومن ثم تعزل عملية الإشباع عن شروطها.
٣. هنا يبدأ الفرد فى إجراء عدد من المحاولات للوصول إلى الهدف المرغوب، بل ويحطم كل معوقات الوصول إلى الهدف سواء أكان التدمير مشروعاً أو غير مشروع (أشبه بحالة المدمن).
٤. فى حالة تحقيق الهدف، فإن الفرد يشعر بالارتياح وهنا تعمل قوانين (التكرار – الحداثة – التدريب – الأثر).
٥. وعندما يتحدث مع الآخرين عن ارتياحه يجد ان الجميع يشاركونه نفس الارتياح ونفس الحاجة والرغبات (يتفعل قانون التعميم) عن طريق (Talk show - Chat).

وفى نهاية الورقة نكون قد حاولنا أن نقدم تشخيصاً لحالة العولمة حتى يتسنى لمتخذ القرار أن يقدم محاولة علاج ناجحة مستنداً إلى تشخيص نأمل أن يصيب هدفه.

المراجع:

١) ابتهاج عبدالقادر محمد (١٩٩٦): العلاقة بين ثنائية اللغة وبين تشكيل الهوية الثقافية لدى المراهقين، رسالة ماجستير، غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، ج.م.ع.

٢) أحمد زايد (٢٠٠٣): عولمة الحداثة وتفكيك الثقافات الوطنية، مجلة علم الفكر، ع (١)، مج (٣٢)، الكويت.

٣) إمام عبدالفتاح (١٩٩٣): مدخل إلى الفلسفة، الطبعة السادسة، مؤسسة دار الكتب، الكويت.

٤) أنور محمد الشرقاوى (١٩٩٨): نظريات وتطبيقات علم النفس التربوى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ج.م.ع.

٥) اسماعيل صبرى عبدالله (١٩٩٧): الكوكبية، الرأسمالية العالمية مرحلة ما بعد الإمبريالية، مجلة المستقبل العربى، العدد (٢٢٢).

٦) السيد يس (٢٠٠٠): العالمية والعولمة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ج.م.ع.

٧) السيد يس (٢٠٠٣): الحرب الكونية الثالثة، عاصفة سبتمبر والسلام العالمى، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج.م.ع.

٨) أنطونى كينج (٢٠٠١): الثقافة والعولمة والنظام العالمى، ترجمة محمد يحيى، شهرت العالم، هالة فؤاد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ج.م.ع.

٩) تهانى حسن الكيال (١٩٩٧): الثقافة والثقافة الفرعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ج.م.ع.

١٠) تركى الحمد (٢٠٠١): الثقافة العربية فى عصر العولمة، الطبعة الثانية، دار السافى، بيروت، لبنان.

١١) حسن كاظم الزبيدى (٢٠٠٢): العولمة ومستقبل الدور الاقتصادى للدولة فى العالم الثالث، دار الكتاب الجامعى، العين، دولة الإمارات العربية المتحدة.

١٢) خلدون حسن النقيب (١٩٩١): الدولة التسلطية فى المشرق العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
١٣) جيرالد بوكسيرغر، هارالد كليمننا (١٩٩٩): الكذبات العشر للعولمة، بدائل ديكتاتورية السوق، ترجمة، عدنان سليمان، دار الرضا للنشر، دمشق، سوريا.
١٤) روبرت رايش (١٩٩٢): اقتصاد الأمم ورأسمالية القرن الحادى والعشرين، ترجمة سمية شعبان، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة، ج.م.ع.
١٥) زيجتبو بريجنسكى (١٩٩٩): رقعة الشطرنج الكبرى، ترجمة أمل الشرقى، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
١٦) سعيد محارب اللاوندى (٢٠٠٢): بدائل العولمة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ج.م.ع.
١٧) صلاح الدين عبدالقادر محمد (١٩٩٣): مدى فاعلية علاج التشكيل بالأنموذج فى مقابل العلاج الجماعى التحليلى فى علاج ظاهرة الانسحاب الاجتماعى، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية التربية ببنها، جامعة الزقازيق، ج.م.ع.
١٨) صمويل هيننجتون (١٩٩٥): صدام الحضارات مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، لبنان.
١٩) عبدالإله بلقزيز (١٩٩٨): العولمة والهوية الثقافية، عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة، مجلة المستقبل العربى، العدد (٢٢٩).
٢٠) فرانسيس فوكاياما (١٩٩٣): نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ترجمة، فؤاد شاهين، جميل قاسم، مركز الإنماء القومى، بيروت، لبنان.
٢١) مامادو ندوى (١٩٩٧): العولمة وعلاقتها بالتنمية الذاتية والتعليم فى أفريقيا، مجلة مستقبليات، تصدر عن اليونسكو، العدد (٢٧).
٢٢) محسن أحمد الخضيرى (٢٠٠١): العولمة الاحتياجية، مجموعة النيل العربية، القاهرة، ج.م.ع.

٢٣) محمد عبدالرؤوف خميس (٢٠٠١): إطار مقترح لمقرر علم الاجتماع بالمرحلة الثانوية العامة فى ضوء العولمة ومتطلبات الحفاظ على الهوية الثقافية، مجلة الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، العدد (٧٠).
٢٤) محمد عابد الجابرى (١٩٩٧): قضايا فى الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
٢٥) محمد عابد الجابرى (١٩٩٨): العولمة والهوية الثقافية، مجلة المستقبل العربى، العدد (٢٢٨).
٢٦) ناعوم تشومسكى (١٩٩٧): ضبط الرعاع، ترجمة هيثم على حجازى، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
٢٧) ناهد طلاس العجة (١٩٩٩): العولمة، محاولة فى فهمها وتجسيدها، ترجمة هشام حداد، دار طلاس للطباعة والنشر، دمشق، سوريا.
٢٨) قدرى حفنى (٢٠٠١): مقدمة ملف العولمة والهوية الثقافية، مجلة الطفولة والتنمية، تصدر عن المجلس العرب للطفولة والتنمية، العدد (٢)، القاهرة، ج.م.ع.
٢٩) هانس بيتر مارتن، هارولد شومان (١٩٩٨): فخ العولمة، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٢٣٨)، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
٣٠) هادى نعمان الهيتى (٢٠٠١): الهوية الثقافية للأطفال العرب إزاء ثقافة العولمة، مجلة الطفولة والتنمية، تصدر عن المجلس العربى للطفولة والتنمية، العدد (٢)، القاهرة، ج.م.ع.
٣١) و.م. أونيل (١٩٨٧): بدايات علم النفس، ترجمة، شاكر عبدالحميد، إصدارات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق.
32) Anthony king (1990): "Architecture, Global and Globalization of culture," in Global culture, Nationalism, Globalization and Modernity, ed., Mike Featherstone, (London , Newbury, park, and newdelhi: Sage) 397-411.
33) Edward Said (1993): Culture and Imperialism, london, Chatto and windus.

34) Fredrick Buell, National Culture and the new Global system (Boltimore: Johns Hopkins university press,).
35) Immonuel wallerstien (1991): Culture as the Ideological Batteground of the modern world-system," in Global Culture: Nationalism, Globalization and modernity, ed., Mike Featherstone (London, Newbury Park and New Delhi: Sage).
36) Ronald Robertson (1991): "Globality, Global Culture and Images of world order," in Social changes and Modernity," eds., Hans Haverkamp and Neil Smester (Berkely: university of california press.
37) Ulf Hannerz, (1996): Transnational connections: Culture, People, place (London and New Yourk, Routledge).